وظيفة خطاب المقدمات في كتب الحب العربي
_ (طوق الحمامة)، و(مصارع العشاق) أنموذجًا_

The Function of the Introductions Discourse in The Arabic Love Books (Tawq Alhamamah & Masare Aloshaq) as an example

د.عبدالله حسن محمد القرني*

[1]جامعة بيشة ahqarni@ub.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2022/10/25 تاريخ القبول: 2022/11/14 تاريخ النشر: 2023/01/31

ملخص:

إن هذه الدراسة الموسومة بـ(وظيفة خطاب المقدمات في كتب الحب العربي - طوق الحمامة، ومصارع العشاق أنموذجًا-) تتناول في مضمونها دراسة لمقاربة خطاب المقدمة في أنموذجين من كتب الحب العربي؛ وذلك للوقوف على مدى توافر كل تلك العتبات أو بعضها، وبيان ما حققته من وظيفة حسب ما قرره (جيرار جينيت) في توصيفه لأنواع العتبات في الأعمال الأدبية في العصر الحديث، كونها من وجهة نظره تمثل دلائل جودة العمل الأدبي، وعلامات ذات دلالات تخدم غرض المؤلف وتعينه على إيصال رسالته، وجعله ميداناً للدراسة الأدبية الحديثة.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان أهمها بروز وظيفة خطاب المقدمات في نموذجي الدراسة في خدمة المتن، والمؤلف والمتلقي، مما يدلل على وعي الكتّاب العرب بدور خطاب المقدمات، كما وصفها (جينيت) في وظائفه التي حددها في العصر الأدبي الحديث.

كلمات مفتاحية: خطاب المقدمات،طوق الحمامة، مصارع العشاق.

Abstract:

This study titled as 'The Function of the Introductions Discourse in The Arabic Love Books' presents a discussion of the introductions discourse of two Arabic love books. It aims to analyze the availability of all kinds or some of the textual thresholds and their functionality as described by GérardGenette in his analyses of the modern literary works. He argues

* **المؤلف المرسل**

that these thresholds represent the quality of the literary work, serve the author's purpose to deliver his massage, and make it an area for modern literary studies.

One of the main findings of this study show that the function of the introductions discourse appear in the introductions of the two targeted books to serve the text, the author, and the reader. This leads to the fact that Arabic authors are aware of the important role of the introductions discourse as described by Gérard Genette in his book.

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Keywords: Introductions Discourse, TawqAlhamamah, MasareAloshaq.

1. مقدمة:

يعد (جيرار جينيت) أبرز من نظَّر، وصنَّف أنواع العتبات في الأعمال الأدبية، وبيَّن أدوار تلك العتبات في خدمة النص بناء على معايير خاصة، وقد سعت أغلب الأعمال الأدبية في العصر الحديث إلى التنبه لتلك المعايير التي صاغها (جينيت) كونها -من وجهة نظرهم- تمثل دلائل جودة العمل الأدبي، وعلامات ذات دلالات تخدم غرض المؤلف، وتساعد في إيصال رسالته؛ فكان الاهتمام بالعنوان، والإهداء، والفراغات، والاستهلال ونحوها، مما يجعل من تلك الأعمال ميدانًا خصبًا للدراسات الأدبية، والنقدية الحديثة التي تُـعنى بهذا الجانب -دراسة المقدمات-.

وقد دفع إلى هذا النوع من الدراسات ذلك الهاجس الذي شغل الباحثين دافعاً إياهم إلى التنقيب في التراث العربي القديم لإثبات أن وظائف العتبات لم تكن مهملة لدى الكتاب العرب القدامى، بل إن لديهم إدراكاً لدور العتبات في خدمة أعمالهم بياناً وتنظيماً، وهذا هو الدافع الرئيس لهذه الدراسة التي تحاول عرض مقاربة لخطاب المقدمات في هذين الكتابين موضع الدرس؛ كونهما يمثلان أنموذجاً لكتب الحب

العربي، وبما يحقق الهدف الرئيس الذي أقيمت لأجله هذه الدراسة والمتمثل في مدى تحقيق مقدمتي الكتابين للوظائف التي حددها (جينيت) إما كلها أو بعضها.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى التحقق من توظيف الكتاب العرب القدامى لوظائف خطاب المقدمات في مؤلفاتهم، ولا سيما في الكتب التي تناولت (الحب الفطري) ومثلها في الدراسة كتابا (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ.

أسباب الدراسة: إن الأسباب التي دفعت الباحث إلى خوض هذه الدراسة، هي:

إنه لم يتم تناول هذا الموضوع بمثل هذه الخصوصية البحثية في الأدب العربي، وليكون محاولة لفتح هذا الباب أمام الباحثين لخوض مثل هذه التجربة البحثية.

يعد الكتابان من الكتب المشتهرة في موضوع الحب الإنساني الفطري (بين الرجل والمرأة)، وتم استبعاد ما كان دافع كتابته موضوعي الحب الصوفي، والحب غير الفطري.

اختلاف مقدمتي الكتابين من حيث أسلوب صياغتهما؛ فمقدمة (طوق الحمامة) مقدمة نثرية (نصًا واحدًا)، ومقدمة (مصارع العشاق) مقدمة شعرية-نظم- بل إنها لم تأتِ متتابعة، بل جعلها المؤلف مقطعّات تتقدم كل جزء من أجزاء الكتاب، وذلك الاختلاف يبرز تنوع ما عرفته كتب التراث من أنواع الاستهلال-حسب جينيت- ويجعلهما صالحتين للتناول بالبحث.

الدراسات السابقة: حسب الجهد الذي بذله الباحث، فإنه لم يقع بين يديه دراسة في تناول خطاب المقدمات في كتب الحب العربي في هذين الكتابين، إلا أن هناك دراسات تحليلية، ونقدية تناولت الكتابين، وأشارت إشارات عابرة للمقدمة كانت إشاراتها بياناً وتوضيحًا لما تضمنته المقدمة لا تحليلًا لخطابها، أو وقوفًا على وظيفة المقدمة كما في هذه الدراسة، ومن تلك الدراسات على سبيل التمثيل لا الحصر:

شعرية النثر، طوق الحمامة أنموذجًا، دانا عبد اللطيف سليم حمودة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط2012م: لم تفرد هذه الرسالة خطاب المقدمة بالدراسة، ولم تتجاوز الإشارة إلى ما احتوته المقدمة من معلومات.

رائعة ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف) دراسة نقدية، أ.د. نادية هناوي سعدون، موقع الناقد العربي على الشبكة العنكبوتية2018م: أشارت هذه الدراسة -أيضاً- إلى تقسيم المؤلف للمقدمة، من بدء بالحمد والثناء، وشرح لأسباب

وبواعث التصنيف، وتقسيم لأبواب الكتاب دون الربط بين وظيفة المقدمة وعلاقتها بكل من المؤلف، والمتلقي، والمتن كما سيتضح في هذه الدراسة.

صياغة الخبر وبناء القصة في كتاب مصارع العشاق لابن سراج البغدادي، بختة هواشرية، رسالة ماجستير، معهد الآداب واللغات-الجزائر، 2012م: تناولت هذه الدراسة في المبحث الثاني من الفصل الأول دلالة العنوان-وهو ما لا يخص دراستي- وأشارت إلى غرض المؤلف اعتمادًا على مقدمة البستاني، ولم تشر إلى ما ورد في الأبيات الواردة قبل أجزاء كتاب مصارع العشاق بوصفها مقدمة (نصًا موازيًا) يُـــعتمد عليه لتحديد غرض السرّاج القارئ من التأليف كما ستبينه هذه الدراسة.

وبناء على ذلك -وحسب علمي- فإن أغلب الدراسات لم تقف بدراسة تحليلية لخطاب مقدمة هذين الكتابين تبعًا لمعايير جيرار جينيت لوظيفة المقدمة.

وتبقى هذه الدراسة محاولة للوصول، والله أسأل القبول والسداد والتوفيق.

مشكلة البحث: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن تساؤل مفاده: هل حققت مقدمتا كتابي (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ الوظائف التي حددها (جيرار جينيت) لخطاب المقدمات؟

أسئلة الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذين التساؤلين، وهما:

أحدهما: هل توافرت وظائف خطاب المقدمات في مقدمتي كتابي: (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ؟

والآخر: ما الوظائف التي توفرت عليها مقدمتا الكتابين: (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ؟

حدود الدراسة: ستتناول هذه الدراسة في مضمونها وظيفة خطاب المقدمات في كتب الحب العربي، وستجعل من كتابي: (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئمجال التناول والدرس.

منهج البحث: يعتمد الباحث المنهج (الوصفي التحليلي) الذي سيعينه على عرض المشكلة وتناول جوانبها بالتحليل بصورة تعرضها في تسلسل منطقي يخدم الغاية التي من أجلها وجدت هذه الدراسة، ويستعين الباحث كذلك بالمنهج (الاستقرائي) للحصول على النماذج المعينة على تناول التطبيقات في ثنايا البحث، وبما يجلي الفكرة التي يتم تناولها.

منهجية البحث: يقوم الباحث بتخريج المعلومات الواردة في ثنايا البحث من مصادرها الأصيلة، ويشير إلى موضعها بالطريقة التي تعين على الوصول إليها في مظانها.

خطة البحث: وزع الباحث خطة البحث على مقدمة وخاتمة توسطهما مبحثان، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: خطاب المقدمات (المفهوم والوظيفة)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي -اصطلاح النقاد- لـ(الخطاب) و(المقدمات)، وفيه:

التعريف بـ(الخطاب) لغة واصطلاحاً.

التعريف بـ(المقدمات) لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: وظائف الاستهلال/المقدمات التي حددها (جيرار جينيت).

المبحث الثاني: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمتي كتابي: (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمة كتاب: (طوق الحمامة) لابن حزم، وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت).

المطلب الثاني: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمة كتاب: (مصارع العشاق) للسرّاج القارئ، وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت).

الخاتمة: وفيها:

نتائج البحث: وتتضمن أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: خطاب المقدمات (المفهوم والوظيفة)

يتناول هذا المبحث الجزء النظري من الدراسة والمتمثل في تحديد موجز لمكوني العنوان، وهما: (الخطاب) و(المقدمات) وذلك في إطارهما اللغوي واصطلاح النقاد، ومن ثم تناولهما في الميدان النقدي، ثم تحديد وظائف المقدمات حسب (جينيت)، وذلك لتكوين تصور واضح عن الجانب النظري المنظم للجانبين التطبيقي، وبما يحقق تصوراً معيناً على فهم الغرض الذي لأجله أقيمت الدراسة.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي _اصطلاح النقاد_ لـ (الخطاب) و(المقدمات)، وفيه:

أولاً/ التعريف بـ(الخطاب) لغة واصطلاحاً:

جاء في لسان العرب: "الخطاب، والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبةً وخِطابًا، وهما يتخاطبان"(ابن منظور، (1410هـ)، مادة (خطب))، ويُعد خطاباً"كُل كلام بينك وبين آخر"(الرازي، مجمل اللغة، ص295)، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)(سورة ص، أية رقم:23)، أي غلبني في الخطاب(الفراء، معاني القرآن، ص404).

أما مفهوم الخطاب في الدرس النقدي، فقد أُختُـلِـف فيه كثيرًا، وقد أشار سعيد يقطين في كتابه (تحليل الخطاب الروائي) إلى تلك الاختلافات، وما يهم هذه الدراسة هو الرأي الذي ختم به يقطين عرضه لتلك الآراء إذ قال: "لتحديد الخطاب، وتحليله التحديد والتحليل المقبولين علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه، والمجال الذي نشتغل فيه..."(يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 26)، إذ بناء على هذا الرأي ستختار الدراسة تعريف (إيميل بينفينيست**Émile Benveniste**) للخطاب إذ عرَّفه بأنه: " كل تلفظ يفترض متكلمًا، وسامعًا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"(نفسه، ص 19).

ثانياً/ التعريف بـ(المقدمات) لغة واصطلاحاً:

جاء في (اللسان) قوله: "مقدمة الجيش بكسر الدال: أوله الذين يتقدمون الجيش...، وقد أُستُـعِـير لكل شيء، فقيل: مقدِّمة الكتاب، ومقدِّمة الكلام بكسر الدال قال: وقد تُفتح"(ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدم))، وجاء في المعجم الوسيط: "والمقدمة من كل شيء أوله ومن الجيش طائفة منهتسير أمامه، ومنهيقال مقدمة الكتاب وأيضاً مقدمة الكلام"(أنيس، المعجم الوسيط، ص 719-720).

أما في الدراسة النقدية فتعد المقدمات من العتبات التي اهتمت بها الدراسات الحديثة، مثل: (السيميائية أو السيميولوجيا)، وحسب (جيرار جينيت **Gérard Genette**) فالمقدمة من أنواع النص المحيط الذي هو من أقسام المناص التأليفي(المناص: نص يوازي النص الأصلي، فلا يُعرف إلا به، ومن خلاله، يُنظر: بلعابد،عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص28) الذي يُمثل كل الإنتاجات والمصاحبات الخطابية التي تعود مسؤوليتها بالأساس إلى الكاتب/المؤلف، حيث

ينخرط فيها كل من (اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، الإهداء، الاستهلال..."(بلعابد،عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص48).

ومفهوم الاستهلال عند (جينيت): "هو كل ذلك الفضاء من النص الافتتاحي (بدئيًا كان أو ختاميًا) والذي يُعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص-لاحقًا أو سابقًا له- ...، ومن الاستهلالات الأكثر دورانًا واستعمالًا نجد: المقدمة/ المدخل، التمهيد..."(نفسه، ص112)، ومن هنا يتضح لنا أن من مرادفات الاستهلال: المقدمة.

المطلب الثاني: وظائف الاستهلال/المقدمات التي حددها (جيرار جينيت):

حدد (جينيت): وظائف الاستهلال/ المقدمات بسؤالين، وهما: (لماذا؟) و(كيف) يمكن قراءة الكتاب؟، ثم ينتهي إلى: إن سؤال لـ(ماذا؟) تخلى تمامًا عن مهمته للسؤال (كيف؟)(نفسه، ص118-120)، وقد حدد (جينيت): بناء على سؤال الكيفية ثماني وظائف سأنقلها كما وردت في كتاب عتبات جيرار جينيت لتكون معيارًا يستطيع قارئ الدراسة أن يقف معها على توافر هذه الوظائف أو عدمها في النماذج موضع الدراسة على النحو الآتي:

1- تكوُّن/ **Genese**: يقصد بها"إخبار القارئ عن أصل الكتاب، وظروف تأليفه وتحريره، وعن مراحل تكونه"(نفسه، ص121).

2-اختيار القراء: عرفت هذه الوظيفة عند (جينيت) باختيار جمهور/ **choix d un public** ' أي أنه "ليس من وظيفة الاستهلال إرشاد القارئ وتوجيهه فقط، ولكن معرفة ما يريد قراءته أيضاً، وهذا لا يتأتى للكاتب دائماً، فهو لا يعرف قراءة، بيد أنه بإمكانه أن يختار جمهوره بتعيينه في الاستهلال، كأن يوجه كتابه لفئة الشباب، أو أن يوجه قصصه للأطفال، وروايته لفئة النساء، كذلك يمكن للأعراف الأدبية أن تلعب هذا الدور، والتي أصبحت تعرف وتعين اختيار الجمهور، فالرواية البوليسية لها جمهورها والرواية الجديدة لها جمهورها إلى غير ذلك"(نفسه، ص121)، وبذلك يعرف القارئ من المقدمة إن كان هذا الكتاب موافقاً لرغبته وحاجته أم لا.

3-التعليق على العنوان/ **commentaire du titre**:من وظائف المقدمة التي يتخذها سؤال (كيف؟)"التعليق على العنوان وتبرير وضعه_طوله أوقصره_... يجيب مفسراً العنوان وشارحاً له، كما يمكن أن يطال هذا التعليق العنوان الفرعي للكتاب، فالتعليق على العنوان يكون إمادفاعا عن الانتقادات الموجهة للعنوان والكتاب عامة، وإما تبريراً للتغيير الذي حدث للعنوان، كما سبق وأن أعلن عنه في الصحف أو

الملاحق الثقافية، وإما تصحيحاً للعنوان حرصاً من عدم الوقوع في الآراء المغرضة. كما يمكن لهذه التعليقات ألا ترد في الاستهلال الأصلي، فيعمل الكاتب على تداركها في استهلالات لاحقة أو متأخرة؛ قصد تبرير هذا التغيير أو أن يدافع عن عنوانه، غير أن هذه الوظيفة التعليقية للعنوان التي تتموضع في الاستهلال، قد أصبحت اليوم تتواجد في كلمة الناشر لأنها أكثر قرباً وظهوراً منها في الاستهلال"(نفسه، ص122). وبذلك فمسألة "العنوان في المقدمة تشير إلى أصل هذا الخطاب سواء كان تنبيهاً أو تحذيراً، لذا فالعنوان يبقى أمراً مطروحاً في المقدمات المرتبطة بالنص، بحيث تأتي مقدمات دون عناوين وأخرى تحقق بعناوينها موضوعاً آخر"(حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ص 68).

4-عقد التخييل/ **contrats de fiction**: "وهي الوظيفة المعقودة بكتب التخييل، وعلى الخصوص بالتخييل الروائي (**fiction romanesqu**)، فمن خلالها يقدم الاستهلال مفاتيحه القرائية لهذا الكتاب، وإن كانت هذه المفاتيح مضنون بها، كونها أمام عمل أدبي، غير أنها تجعل بيننا، وبين الكاتب ميثاقاً نتواثق به قرائياً، كما أن هذا العقد التخييلي يمحو ويثبت، فهو يعلن في شكل قاعدة قانونية أن كل تشابه في أسماء الشخصيات، وأزمنتها وأمكنتها هو غير وارد أو مجرد مصادفة، وهذا كله كي ينفي عنه صفة المطابقة الواقعية، حاملاً في الوقت نفسه وظيفتين هامتين، الأولى حماية الكتَّاب، والثانية دفع القارئ للبحث عن هذا التطابق، لأنه يعلم مسبقاً أنه في حقل التخييل، فهناك بعض الكتَّاب من يعكس القاعدة بإعلانه أن كل الأسماء والشخصيات الموجودة في العمل هي واقعية، لكي يمحو عنها هذا الانخراط في العقد التخييلي"(بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص122-123).

5 – الإشارة إلى السياق: وهو عند (جينيت) مؤشر السياق/ **indication du contexte** وتتمثل هذه الوظيفة للاستهلال في كونه"مؤشرًا لفهم السياق الذي ينخرط فيه الكتاب، ولا يمكن للقارئ فهمه بدونه، فهو يضعه في حالة انتظار؛ لأن الكتاب يعد جزء من مجموعة كتب لابد أن تفهم في سياقها العام. لهذا يضع الكاتب تنبيهات تؤشر على السياق، خاصة في الكتب ذات الأجزاء والمجموعات، وممن تميز بهذا التأشير السياقي في استهلالاته نجد "بلزاك"، فالاستهلال على هذا النحو ذو وظيفة سياقية وتنبيهية لأعمال الكتاب"(نفسه، ص123).

6- التصريح بالقصد/**declaration d ' intention**: تدخل هذه الوظيفة ضمن وظائف (كيف؟)، وهي من بين الوظائف المهمة للاستهلال الأصلي، "لتقديمه

تأويلًا للنص من طرف الكاتب وفيه يعلن عن قصده، كأن يقول هذا ما أريد فعله/قصده في الكتاب، إلا أن هذا لا يصدق دائماً، خاصةإذا كنا أمام عمل أدبي يضمر قصدياته أكثر مما يصرح بها"(نفسه، ص123)، فيعمد إلى توضيح مقصوده باستخدام ألفاظ تدل على ذلك مباشرةً، من مثل:غايتنا، كل ما أرجوه، هدفنا، قصدت...، وهي ألفاظ صريحة في تحديد الهدف.

7- التعريف الجنسي/ **définitionsgeneriques**: وهي تأتي من وظائف الاستهلال الموضوعاتية والشكلية، ويعمل المؤشر الجنسي على "التعريف الأولي بجنس العمل ككل، فالاستهلال يعمل عمل المؤشر الجنسي بتحديده لطبيعة العمل، هل هو عمل تاريخي أو فلسفي أو روائي أو شعري أو مسرحي..."(نفسه، ص124).

8-تملص (غياب) الاستهلال/ **Esquives**: إن الوظائف الكثيرة للاستهلال ستترك الكتاب يفكرون في أهمية وجوده وحضوره، لأنه بإمكانه التملص فلا يظهر، وكثيرة هي الأعمال التي لا نجد فيها استهلالا، فبعض الكتاب لا يجدون ضرورة في حضور الاستهلال كشكل أو عنصر مناصي. وهذا ما عابه كل من (ميشو/ **Michaux**)،(بيكيت/ **Beckett**) وكذلك الخطاب الذي وجهه"فلوبير" لـ "زولا" من أنه يكثر من الاستهلالات التي تكشف عن أسراره الكتابية، وتعبر عن آرائه الفكرية وهذا ما لابد للروائي من أن يصون شعريته عنه؛ فالاستهلال يعمل على تكاسل القارئ عن إتمام العمل ككل بالتوقف عنده فقط، وإن كانت الوظيفة الأساسية للاستهلال هي حمل القارئ على متابعة قراءة الكتاب وإتمامه"(نفسه، ص124). فالاستهلال يكون بين الحضور والغياب تبعاً لنظرة الكاتب التأملية في أهمية وجود المقدمات، والدور الذي تقوم به من خلال تلك الوظائف التي تقدمها.

المبحث الثاني: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمتي كتابي: (طوق الحمامة) لابن حزم، و(مصارع العشاق) للسرّاج القارئ، وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت)

إن هذا المبحث يقوم بمقاربة نموذج جينيت لتصنيف وظائف الاستهلال من خلال تحليل خطاب مقدمتي نموذجي الدراسة، وذلك للوقوف على ما يمكن أن يؤديه خطاب المقدمة من دور بالنسبة للمتن (تكوُّن، تعليق على العنوان، عقد التخييل، مؤشر السياق، التعريف الجنسي، غياب الاستهلال)، وللمؤلف (التصريح بالقصد)، وللمتلقي (اختيار جمهور)، وذلك بتحديد الوظيفة ثم بيان ما توافر منها في نموذجي الدراسة (طوق الحمامة، ومصارع العشاق) بإيراد شواهد على تلك الوظيفة من مقدمتي النموذجين، ويحاول الباحث في هذه الدراسة استقراء الشواهد المتوافرة، وسيكتفي بما يدلل على وجود الوظيفة في النموذج؛ لذلك سيعتمد التحليل على وظيفة خطاب المقدمة وعلاقته بالمتن، ووظيفة خطاب المقدمة وعلاقتها بالمؤلف، ووظيفة المقدمة في علاقتها بالمتلقي، وذلك بتناول كل كتاب على حده، وتطبيق هذه الوظائف عليه.

المطلب الأول: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمة كتاب: (طوق الحمامة) لابن حزم[†]، وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت).

أولاً/ وظيفة المقدمة في علاقتها بالمتن في مقدمة كتاب: (طوق الحمامة) لابن حزم:

وجد الباحث أن الوظائف التي تؤديها المقدمة للمتن في هذا الكتاب وظيفة: (تكوُّن) والتي تقوم على إخبار القارئ عن أصل الكتاب وظروف تأليفه، وصفته، ومراحل تكوينه، ومما يدلل على هذه الوظيفة ما ورد عن كل منها على النحو الآتي:

†- الإمام الأوحد البحر ذُو الفنون والمعارف أبو محمد؛ علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبِي اليزِيدي مؤلى الأمير يزيد بن أَبِي سفيان بنِ حرب الأموي -رضِي الله عَنْه- المعْروف بيَزِيد الخير نائب أمير المُؤمِنِين أبي حفص عمر علَى دمشق الفقيه الحافظ المُتكلّم الأديب الوزِير الظَّاهري صاحِبُ التَّصَانِيف فكان جده يزيد مؤلى للأمير يَزِيد أخي معاوية. وكان جده خلَف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحْمن بن معاوية بنهِشَام؛ المَعْرُوف بِالدَّاخل. ينظر: الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة،ط3، 1985م، ص373

ظروف التأليف: "وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في الحب..."(ابن حزم، طوق الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف، ص2).

صفة الكتاب: "والذي كلفتني فيه لابد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي...، وسأورد في رسالتي هذه أشعار قلتها... ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين"(ابن حزم، طوق الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف، ص3)؛ فالكاتب ينقل في كتابه ما شاهد أخباره، أو ما وصله منها عن طريق الثقات، ويستبعد أخبار الأعراب.

كما يمكن أن تبين الوظيفة التي أسماها (جينيت): "عقد التخييل"، فيما علل به المؤلف عدم ذكره لأسماء الشخصيات التي سيورد أخبارها في المتن، وذلك بقوله: "فاغتفر لي الكناية عن الأسماء فهي إما عورة لا تستجيز كشفها، وإما نحافظ في ذلك صديقًا ودودًا، ورجلًا جليلًا وبحسبي أن أسمي من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره إما لاشتهار لا يغني عنه الطي وترك التبيين، وإما لرضى المخبر عنه بظهور خبره وقلة إنكاره لنقله"(نفسه، ص2)، فهذه الوظيفة تحققت من خلال العقد الذي أبرمه ابن حزم مع قارئ كتابه إذ جعل ميثاقًا قرائيًا بينه وبين القارئ، وإن كان (جينيت) خصَّ هذه الوظيفة بمقدمات كتب التخييل، خاصة الرواية إلا أنني أرى أن هذا العقد الذي أبرمه ابن حزم في خطاب مقدمته أدى هذه الوظيفة، خاصة أن القارئ مقبل على مادة قصصية، وهي التي يتحدث عنها الكاتب.

و"التعريف الجنسي" للمؤلَّف ظهر في خطاب المقدمة بعد عبارات ودية بثها المؤلف لصديقه، وختمها بقوله: "وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة"(نفسه، ص2)، وبهذا حدد جنس الكتاب الذي كشف عنه خطاب المقدمة، ليكون رسالة إلى صديقه، ولكنها قسمت في صورة أبواب كونت محتوى الكتاب.

أما ما تبقى من الوظائف الخاصة بالمتن مثل: "مؤشر السياق" فلا تنطبق على رسالة طوق الحمامة؛ إذ هي ليست جزءًا من مجموعة أو حلقة من سلسلة كما أشار (جينيت)، وحضور المقدمة يلغي الوظيفة الثامنة: "غياب الاستهلال".

ثانياً/ وظيفة المقدمة وعلاقتها بالمؤلف في مقدمة كتاب: (طوق الحمامة) لابن حزم:

وتبرز هذه الوظيفة فيما أسماه (جينيت) بـ"التصريح بالقصد"، إذ التصريح بالقصد خاص بالمؤلف، وقد كشف خطاب المقدمة عما هو خاص بالمؤلف وغير ذلك، وبيانه فيما يلي: كشف خطاب المقدمة عن قصد المؤلف من كتابة هذه

الرسالة من خلال تصريحه بذلك، حيث ورد قوله: "ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من الفقر والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب..."(نفسه، ص2)، ويبدو هذا موقفًا صريحًا من المؤلِّف تجاه موضوع مؤلَّفه، ويمكننا أن نقول: إن هذا الموقف قد تجلى منذ افتتاح الخطاب الذي بدأه ابن حزم بعد البسملة والاستعانة بالله بطلب العفو : "قال أبو محمد عفا الله عنه"(نفسه، ص1)، وختم هذا الخطاب بقوله: "والله المستغفر والمستعان لا رب غيره"(نفسه، ص3)، فالاستعانة من قبل المؤلف على أمر يَـثْـقُل عليه أداؤه، والاستغفار من أمر يراه ذنبًا يوجب الاستغفار، إذ بدا هذا المؤلَّف في نظر مؤلِّفه من العبث الذي لا يستحق ما يصرف فيه من عمر، وقد قَبِل الكتابة في موضوعه مرغمًا؛ لاعتبارين: الأول مكانة صديقه/ طالب الرسالة، والثاني ما يعلم من أقوال مأثورة تسوغ له كتابته، مثل: "أريحوا النفوس، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد"(القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ص116). ولعل هذا يوحي لنا بشخصية ابن حزم المتدينة الورعة.

كما كشف خطاب المقدمة عن جوانب من شخصية المؤلف، منها: تحريه الصدق فيما ينقله من أخبار، يقول في ذلك: "والذي كلفتني فيه لابد من ذكر ما شاهدته حضرتي، وأدركته عنايتي، وحدثني عنه الثقات من أهل زمانه"(ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص2).

ثالثاً/ وظيفة المقدمة وعلاقتها بالمتلقي في مقدمة كتاب: (طوق الحمامة) لابن حزم:

وتتجلى هذه العلاقة من خلال وظيفة: "اختيار جمهور"، وبيانها في خطاب المقدمة حيث تجلت هذه الوظيفة في بداية خطاب مقدمة كتاب (طوق الحمامة)، إذ إن الكاتب يَـعرِفُ متلقيه، ويوجه له الخطاب؛ فهو الذي طلب منه كتابة هذا الكتاب، إذ نجد ابن حزم يشرك متلقي كتابه بالدعاء، ولا عجب؛ فالمخاطب صديقه؛ فتظهر هذه العلاقة الودية بينهما متجلية في الدعاء الذي تلا البعدية "وبعد"، فيتوجه المؤلف لله بالدعاء لنفسه، ولصديقه مختارًا لذلك ضمير الفاعلين: "عصمنا"، "ولا حملنا"، "قيض لنا"، "وهبنا"، "ولا وكلنا"، "عزائمنا"، "قوانا"(ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، المقدمة)، فالمتلقي حاضر في خطاب المقدمة بقوة، وأبرز أسباب ظهوره أنه هو سبب إنشاء هذا الكتاب وذلك ما أعلن عنه المؤلف.

كما يبين خطاب المقدمة نوع المتلقي من خلال ما يخشاه المؤلف من لوم له على ما يورده في كتابه إذ نحن أمام متلق/ ناقد متنبه لما يورده الكاتب في كتابه؛

فيتوجه له ابن حزم بقوله: "فلا تنكر أنت ومن رآها عليّ أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه..."(نفسه، ص2).

المطلب الثاني: التحليل التطبيقي للخطاب في مقدمة كتاب: (مصارع العشاق) للسرّاج القارئ [‡]، وفق وظائف المقدمات عند (جيرار جينيت).

أولاً/ وظيفة المقدمة وعلاقتها بالمتن في مقدمة كتاب (مصارع العشاق):

قبل تحليل خطاب المقدمة في هذا الكتاب، وبيان وظيفتها، لابد من لفت الانتباه إلى أن مؤلف كتاب: (مصارع العشاق) لم يقدم بخطاب متصل -إن صح التعبير-، بل جعل مقدمة كتابه -واستسغت تسميتها بالمقدمة- لما توافر فيها من وظائف الاستهلال/المقدمة حسب عتبات (جينيت)، وحسب إمكانية تغير موقع الاستهلال إذ "يمكن أن يتموقع الاستهلال داخل الكتاب/ النص، وهو ما يعرف بالاستهلال الداخلي، والذي يتصدر مباحث الكتاب، ومداخله مبررًا تقسيماته، وأن يكون هذا الاستهلال مندرجًا بين المباحث يعمل كنص واصف وشارح للنص الأصلي..."(بلعابد، عتبات جيرار جينيت، ص115)، ولذا جعلها صاحب كتاب: (مصارع العشاق) مقطَّعات شعرية تسبق كل جزء من أجزاء الكتاب.

وقد تجلت وظيفتا "تكوُّن"، و"التعريف الجنسي" في العديد من الأبيات التي نظمها المؤلف، وجعلها في مقدمة أجزاء كتابه من بيان لظروف تأليفه، ودوافعه، وتحديد نوع الكتاب، وما يحتويه؛ فهو مصنف يحتوي على مجموعة من أخبار، وقصص، وأحاديث العشاق، وقد بين المؤلف كل ذلك في أبياته، وسنورد منها ما يدلل على ذلك في قوله: "تصنيف من لدغ الفراق فؤاده"(السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ص8) هذا شطر أحد الأبيات التي تصدرت الجزء الأول، وهو ما نستدل منه على نوع

‡-السَّرَّاج القاري (417هـ-500هـ)جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد: أديب عالم بالقرآت والنحو واللغة، من الحفاظ، له شعر. من أهل بغداد، مولدا ووفاة. رحل إلى مكة والشام ومصر. أشهر تصانيفه (مصارع العشاق-ط) وله (مناقب السودان)و(حكم الصبيان) ونظم عدة كتب، منها (كتاب الخرقي) في فقه الحنابلة، جعله نظما. وخرَّج له الخطيب البغدادي (فوائد) في خمسة أجزاء. ينظر:الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002م، الجزء 2، ص120-121.

الكتاب إذ هو مصنف، و من قوله: "جمع عفيف الحب"(نفسه، ص9)، نستدل على أن هذه الأخبار هي جمع من كاتبنا لا تأليف منه، كما أن قوله: "تكلف جمع أحاديثهم"(نفسه، ص9)، وقوله: " كتابٌ تضمن أخبارَ من أطاع الهوى وعَصى العُذلا"(نفسه، ص10)، وقوله: "كتاب جمعتُ به كل ما تفرق من قِصص العاشقينا"(نفسه، ص11)، تجعل خطاب المقدمة يقوم بوظيفة "التعريف الجنسي"، إذ هو أحاديث، وأخبار، وقصص.

كما أشار خطاب المقدمة إلى طريقة التأليف، فهو مقسم إلى أبواب: " كتاب تضمن أبوابه..."(نفسه، ص11)، كما يبين خطاب المقدمة ما امتاز به هذا الكتاب عن غيره من كتب صنفت وجمعت قصص العشاق، حيث ورد فيه: (نفسه، ص12)

قد صنَّف الناسُ في أهـل الهوى كُتُبًا ... في مَن صحَا بعد سُكرٍ منـــــــــــه أو عطَبا

وأكثـــــــروا غير أني قـــد جمعـــــــتُ لهم ... وما اختصـــــــــــــرتُ كتـــــــــــــابًا رائِقًا عجبًا

ذكـــــــرتُ فيه بإسنـــــــادٍ مصـــــــــــارعهم ... عُجمًا وجدتُهم في النـــــــــاس أو عـــــــــــربًا

وبختمه بهذه المقطَّعة نظمه يمكن أن نقول: إنها شملت صفات الكتاب مجموعة، فهو مصنَّف جمع فيه المصنِّف جميع ما وقع عليه من أخبار، وقصص للعشاق العرب، والعجم، ووضحت هذه المقدمة طريقة الرواية، وهي الإسناد(الْمُسْنَدُ: قال الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: "هو عِند أهل الْحدِيث ما اتَّصَل سَنَدُه إِلَى مُنْتَهَاه.. وهو الإخبار عن طريق المتن"، ينظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص199) مثل طريقة رواة الأحاديث النبوية. أما بقية الوظائف الخاصة بالمتن، فلم ترد في هذه المقطّعات.

ثانياً/ وظيفة المقدمة وعلاقتها بالمؤلف في مقدمة كتاب (مصارع العشاق):

تبرز هذه الوظيفة فيما أسماه (جينيت) "التصريح بالقصد"، إذ التصريح بالقصد خاص بالمؤلف، وقد كشف خطاب المقدمة عما هو خاص بالمؤلف وغير ذلك، وتجسد في أبيات، منها: (السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ص9-11-13)

- جمعـــــــــــنا وسَكـــــــــــــراهمُ فيه،

أحـــــــــاديثَ لا مَن أفـــاقا
صَرعـــــــــاهمُ

-رثى لهمُ مَن خـــــاف يَلقى فألّف في مـــــــــــا قد الذي لـــــــقوا لقـــــــوه كِتابا

- وأكثروا غير أني قد وما اختـصرتُ كتابًا رائِقًا جمـــــــــــــعتُ لهم عـــــــجبا

فيتضح لنا أن المؤلف هنا؛ جمع أخبار الهالكين من الحب، والمتيمين الذين أشبه حالهم بحال السكارى، وقصد المؤلف إلى تأليفه هذا الكتاب خوفه من أن يلقى ما لقوا، فلعله يومئ إلى ضرورة الاعتبار بحالهم. كما أن من بيان قصد المؤلف أنه يشابه من سبقوه في جمعهم، بل إنه لم يختصر من تلك الأخبار شيئًا فقد ضمت العشاق من العرب والعجم، كما بيَّن طريقته في روايتها طريق الإسناد.

كما بين خطاب المقدمة صفات المؤلِّف؛ فهو عاشق اكتوى بنار العشق، ولكنه عفيف، تداركه الله بلطفه فوقاه مصارعهم، وقد قام خطاب المقدمة بالكشف عن هذه الصفات، وذلك في خمس عشرة مقطَّعة من أصل إحدى وعشرين تضمنها الكتاب، نذكر منها على سبيل المثال قوله: (نفسه، ص8-9)

-تصنيفُ مَن لدَغ الفراقُ فؤاده وتـــــــطلّب الرَّاقـــــي فـــــــــــعزَّ الرَّاقي

-تصنيفُ مَن عن كشفِ مـــا في الفؤاد مِن حُرَقِ صـــــــــــدَّه تَصوُّنه

فهو يُسِرُّ الهـــــــوى والقـــــــــــــــلبُ قد تاه ويَكتـــــــــمه منه في طُرُقِ

-تكلّف تصنيفَه عفيفُ عـــــــــــــــاشِقٌ الضـــــــــــــــمائرِ جمُّ الجوى

وغيرها من الصفات التي كشف عنها خطاب المقدمة المصاغ أبياتاً.

ثالثاً/ وظيفة المقدمة وعلاقتها بالمتلقي في مقدمة كتاب (مصارع العشاق):

وتتجلى هذه العلاقة من خلال وظيفة "اختيار جمهور"، وبيانها في خطاب المقدمة، في أنه كشف خطاب مقدمة مصارع العشاق عن متلقٍ لبيب إلا أن عقله لم يمنعه عن التعاطف مع حال هؤلاء الصرعى، والرقة لهم رقة قد تتلفه:

"فإذا تصفحه اللبيب رثى لهم"(السرّاج القارئ، جعفر بن أحمد، مصارع العشاق، ص8)، و: "إذا تصفحه ذو اللب رقَّ لهم تلفا"(نفسه، ص11)، ومتلقٍ لابد أن يتعجب مما لقيه أولئك العشاق في سبيل عشقهم: "يعجب قاريه حين يقراه"(نفسه، ص9)، ومتلقٍ خلي لم يجرب ما جربه العشاق؛ فيعتبر بما تجرعه هؤلاء؛ فيشكر الله تقديرًا لنعمة النجاة مما هم فيه: "ليعتبر الخليُّ بما لقوا شكرًا على النعم"(نفسه، ص11)، ومتلقٍ سَلِم من داء العشق، فشكر الله على هذه السلامة: "إذا ما تصفحه سالم من الحب أخلص لله شكرًا"(نفسه، ص11).

الخاتمة:

إن من أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة:

1- اتضح في هذه الدراسة أن كلا النموذجين من كتب الحب العربي احتوى على خطاب مقدمة أدى دورًا ووظائف خدمت المتن في الإبانة عن جنسه، وظروف تأليفه، وأقسامه، وأبانت عن مقصد المؤلف من التأليف، وكشفت شيئًا من ملامح شخصيته، وأظهرت مدى اهتمام المؤلف بمتلقيه، وما يؤمله فيه أثناء تلقي عمله.

2- وجود العديد من الوظائف التي حددها (جيرار جينيت) في خطاب مقدمة (طوق الحمامة)، أكثر من بروزها في كتاب (مصارع العشاق)، ولعل السبب في ذلك راجع إلى اختلاف نوع المقدمة، ففي الأول نثرية، وفي الآخر شعرية؛ والنثر يتسع لما لا يتسع له الشعر.

3- أثبتت وقائع استقراء الكتابين موضع الدراسة أن المؤلفات العربية اهتمت بوظيفة خطاب المقدمات وعلاقتها بالمتن، والمؤلف، وبالمتلقي وفق ما تقتضيه قواعد النقد الحديث.

4- إن المؤلف العربي استطاع توظيف ما أشار إليه (جيرار جينيت) من وظائف سواء أكانت طريقة تصنيفه لمؤلفه نثرية أم شعرية، وهذا دليل على حصافة وقدرة الكاتب العربي وتمكنه الأسلوبي.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أنيس، إبراهيم، وآخرون، (1973م)، المعجم الوسيط،دار المعارف، مصر،ج2، ط2.

3. بلعابد، عبد الحق، (2008م)، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1.
4. ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد، (1950م)، طوق الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف، تحقيق:حسن كامل الصيرفي، مطبعة حجازي.
5. حليفي، شعيب، ،(٢٠٠٥م)، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، دار البيضاء.
6. الذهبي، شمس الدين،(1985م)،سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيـروت،ط3.
7. الرازي، حمـد بـن فـارس بـن زكريـا، (ت:395هـ)، (1986م)، مجمل اللغة، دراسـة وتحقيـق: زهيـر عبـد المحسـن سـلطان، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت، ط2.
8. الزركلي، خير الدين،(2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5.
9. السرّاج القارئ، جعفر بن أحمد، مصارع العشاق، (2017م)، تحقيق: كرم البستاني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.
10. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(د.ت)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
11. الفراء، أبـو زكريـا يحيـى بـن زيـاد(ت:207هـ)،(1983م)، معاني القرآن، تـحقيق: محمـد علـي النجـار، أحمـد يوسـف نجاتـي، عالـم الكتب، بيروت، ط3.
12. القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبداللهبن عبد البر، (د.ت)، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، المجلد الأول، باب ترويح القلوب وتنبيهها، دار الكتب العلمية، بيروت.
13. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (1410هـ)، لسان العرب، مج1، مج12، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1.
14. يقطين، سعيد، (1997م)، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3.